جعفر الطيار

حسن محمد

لستُ زاعماً أن الصحابة كلهم في الفضل سواء، أَوَ يكون هذا وقد فضّل الله الرسل ـ وهم أكرم الخلق وأقربهم إليه تعالىٰ ـ بعضهم علىٰ بعض فقال: ﴿**تلك الرسل فضّلنا بعضهم علىٰ بعض**﴾[1] والتفضيل حالة توافق طبيعة الأشياء؟ فإن كان هذا الزعم ليس من حقّي بل ليس من حق الجميع ـ كما هو الحقّ ـ إلّا أني استطيع وبقوة أن أقول: إنّ الصحابة ـ بعضهم ـ صناعة خاصة أعدّتهم السماء وتفضّلت بهم علينا جميعاً؛ ليصوغوا لنا تأريخاً مليئاً بالخير، وليصنعوا حاضراً كلّه عطاء، ويبنوا مستقبلاً زاهراً بالأمل مشرقاً بالحبّ، بعيداً عن العداوة والبغضاء فكانوا جيلاً لا نظير له فيما مضىٰ من تأريخ الرسالات.

فقد نجح هؤلاء وهم النخبة الطاهرة من الأصحاب في تبليغ أعظم رسالة سماوية استطاعت أن تغير أمّة جاهلية بل أمماً أخرىٰ فغيرت بذلك وجه التأريخ، فاستحقوا بذلك الفوز في الدنيا والآخرة.

كانوا من ورثة جنة النعيم، يتبوّأون منها غرفاً، وينعمون بها، ويمرحون في

بحبوحة منها.

ولا غرابة في ذلك بعد أن أحبوا الله ورسوله، وطلبوا رضوانه تعالىٰ وملئوا شوقاً إلى لقائه، فقد كانوا يطلبون الموت ويتحاثون عليه.

كم كانت تربيتك يا رسول الله لهذه الزمرة الطيبة مجدية نافعة خالدة! وكم كان حبّهم لك عظيماً صادقاً شهد بها أبو سفيان وهو يعيش العداء كلّه لرسول الله ولدينه ولمن معه: ما رأيت من الناس أحداً يحبّ أحداً كما يحبّ أصحاب محمد محمداً!

وجعفر من هذه النخبة الطيبة الصادقة. كان صحابياً متميزاً في دينه وولائه وفي فصاحته وبيانه وحلمه، كما كان مثلاً رائعاً للشجاعة والفداء، أبى إلّا أن تكون ساحات الوغىٰ أرضاً له، وإلّا ظلال السيوف سقفاً له حتىٰ كان شهيداً، ولكن متىٰ؟! بعد أن قطعت يداه وبعد أن تحمل جسمه وضمّ بدنه أكثر من سبعين طعنة رمح وضربة سيف ورمية سهم.

نسبه ولقبه وكناه

كان جعفر من سلالة تلك العائلة الكريمة في خصالها، الرفيعة في شرفها، المتميزة في سيادتها وزعامتها ورجالها، فهم سادة قريش بل سادة الدنيا على الإطلاق، هذه العشيرة التي ضمّت أكرم خلق الله محمداً وآله الطاهرين..

فأبوه: شيبة الحمد، شيبة بني هاشم أبو طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي... واسمه عبد مناف، وقد كني بأكبر أولاده (طالب)، وقد كان الكافل الحامي المدافع عن النبي صلى الله عليه وآله، الذي أحاط رسول الله صلى الله عليه وآله بعناية عظيمة قلّ مثيلها، خاصة إذا نظرنا إلىٰ مكانته في مجتمع قريش وبين زعمائها وما يسببه ذلك الدفاع من إحراج أمامهم.

وكانت هذه الحماية من الأهميّة لرسول الله ولدعوته إلى الدرجة التي لم تطمع

قريش في رسول الله ﷺ وكانت كاعةً عنه حتىٰ توفي عمّه أبو طالب، ولم يهاجر إلى المدينة إلّا بعد وفاته رضوان الله عليه.

وأمّه: كانت أم جعفر الطيار من تلك النساء القلة الطاهرات اللّائي امتازت حياتهن بمواقف جليلة في مسيرة الأنبياء.

وهي إحدىٰ تلك النساء اللواتي نلن ذكراً جميلاً علىٰ لسان خاتم الرسل محمد ﷺ. تقول الرواية: لما ماتت فاطمة بنت أسد أمّ عليّ ـ وكانت قد أوصت لرسول الله ﷺ وقَبل وصيتها ـ ألبسها النبي ﷺ قميصه واضطجع معها في قبرها، فقالوا: ما رأيناك يا رسول الله صنعت هذا!

فقال: «إنّه لم يكن أحد بعد أبي طالب أبرَّ بي منها، إنّما ألبستها قميصي لتكسى من حُلَلِ الجنّة، واضطجعت معها ليُهوَّن عليها».

وفي دعاءٍ خاص لها قال: اللهم اغفر لأمّي فاطمة بنت أسد، ولقنها حجّتها، ووسع عليها مدخلها. وخرج من قبرها وعيناه تذرفان.

لقد كانت لرسول الله ﷺ بمنزلة الأم بكل ما تعنيه هذه الكلمة من معنى، فقد ربته في حجرها وكان شاكراً لبرّها، وكان يسميها وينادیها بـ أمّي، وقد كانت تفضله علىٰ جميع أولادها في البر والرعاية، تقول بعض الروايات: كان أولادها يصبحون شعثاً رمصاً ويصبح رسول الله ﷺ كحيلاً دهيناً.

أمّا إيمانها فهي بدرجة عظيمة، وقد سبقت إلى الإسلام، وكانت من المهاجرات الأول إلى المدينة، وهي بدرية.

فذاك أبوه وهذه أمّه فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف بن قصي، وهي أول هاشمية تزوّجت من هاشمي، فهو وليد هذه الأسرة المباركة.

أمّا لقبه: فكان يلقب بجعفر الطيار كما لقبه رسول الله بـ(ذي الجناحين).

أمّا كنيته: فقد كناه رسول الله ﷺ بـ(أبي المساكين) وله كنية أخرىٰ (أبو عبدالله).

إخوته

كان جعفر الثالث في إخوته، فقد كان طالب أكبر ولد أبي طالب سناً ثم يليه عقيل ثم يلي عقيلاً جعفر ويلي جعفراً عليٌّ عليه السلام، والشيء الملفت للنظر إن لم نقل للعجب أن كل واحد منهم أكبر من صاحبه بعشر سنين، وكان عليّ أصغرهم سنّاً[٢].

زوجته وأولاده

بنى جعفر بأسماء بنت عميس الخثعمية المرأة الصالحة، فولدت له ثلاثة أولاد وهم محمد وعبدالله وعوف، وقد ولدوا جميعاً في الحبشة في الفترة التي أمضاها جعفر وزوجته مهاجرين هناك في كنف ملك الحبشة المعروف بالعدل.

إسلامه

كان جعفر الثاني من الرجال الذين أعلنوا إسلامهم، وهناك رواية تقول: إنّه الثالث بعد علي عليه السلام وزيد بن حارثة[٣].

كما وردت في كيفية إسلامه روايتان تصرحان بأنّه ممّن أسلم باكراً، والدعوة لا تزال في مهدها، وكان إسلامه بأمر من أبيه أبي طالب، حيث كان جعفر برفقة أبيه حينما كان رسول الله صلى الله عليه وآله يؤدي صلاته وإلىٰ جنبه ابن عمّه علي بن أبي طالب، فلما رآهما يصليان التفت إلىٰ جعفر قائلاً: انزل يا جعفر فصل جناحَ ابن عمّك، أو أي بني، صل جناحَ ابن عمّك. وقد وفق جعفر لأن ينال ثواب أول جماعة عقدت في الإسلام، وكانت تأريخاً لبداية إسلامه.

وفي هذا عثرتُ علىٰ روايتين تبينان إسلام جعفر، ودفاع أبي طالب عن النبي صلى الله عليه وآله وعما هو عليه من أمر الدعوة الجديدة. كانت الرواية الأولىٰ عن علي عليه السلام يقول فيها:

بينما أنا مع النبي ﷺ في حَيْر [٤] لأبي طالب أصلي، أشرف علينا أبو طالب، فنظر إليه النبي ﷺ فقال: يا عم ألا تنزل فتصلي معنا؟ فقال: يا بن أخي، إني لأعلم أنك على الحق، ...، لكن انزل يا جعفر فصل جناحَ ابن عمّك.

قال: فنزل فصلىٰ عن يساري. فلما قضى النبي ﷺ صلاته، التفت إلىٰ جعفر فقال: أما إنّ الله تعالىٰ وقد وصلك بجناحين تطير بهما في الجنة، كما وصلت ابن عمّك [٥].

وفي رواية ثانية يذكرها أيضاً صاحب مختصر تاريخ دمشق عن صلصال بن الدهمس يقول فيها: .. فكان الذي بينهما ـ بين أبيه الدهمس وأبي طالب ـ في الجاهلية عظيم (عظيماً)، فكان أبي يبعثني إلىٰ مكّة لأنصر النبي ﷺ مع أبي طالب قبل إسلامي، فكنت أقيم الليالي عند أبي طالب لحراسة النبي ﷺ من قومه، فإني يوم من الأيام جالس بالقرب من منزل أبي طالب في الظهيرة وشدّة الحر، إذ خرج أبو طالب شبيهاً بالملهوف فقال لي: يا أبا العصيفر، هل رأيت هذين الغلامين فقد ارتبت بإبطائهما عليّ؟

فقلت: ما حسست لهما خبراً منذ جلست، فقال: اِنهض بنا فنهضت، وإذا جعفر بن أبي طالب يتلو أبا طالب، قال: فاقتصصنا الأثر حتىٰ خرج بنا من أبيات مكّة، قال: ثمّ علونا جبلاً من جبالها، فأشرفنا منه علىٰ أكمة دون ذلك التل، فرأيت النبي ﷺ وعلياً قائماً عن يمينه، ورأيتهما يركعان ويسجدان قبل أن أعرف الركوع والسجود، ثم انتصبا قائمين، فقال أبو طالب لجعفر: أي بني، صل جناح ابن عمّك، قال: فمضىٰ جعفر مسرعاً حتىٰ وقف بجنب علي، فلما أحسّ به النبي ﷺ أخّرهما وتقدم، وأقمنا موضعنا حتى انقضىٰ ما كانوا فيه من صلاتهم، ثمّ التفت إلينا النبي ﷺ فرآنا بالموضع الذي كنّا فيه، فنهض ونهضنا معه مقبلين، فرأينا السرور يتردّد في وجه أبي طالب، ثمّ انبعث يقول:

إنّ عـــليّاً وجـعفراً ثـقتي ... عِـندَ مُـهِمِّ الأمـورِ والكـربِ

لا تخذلا وانصُرا ابن عـمِّكمَا وابنَ أمّي مـن بـينهم وأبـي
واللهِ لا أُخـــــذلُ النـــــبيَّ ولا يَخذُلُه مِن بَنِيَّ ذُو حَسبِ

قال: فلما آمنت به ودخلتُ في الإسلام، سألت النبيَّ ﷺ عن تيك الصلاة، فقال: نعم، يا صلصال هي أول جماعة كانت في الإسلام(٦).

صفاته:

لقد اجتمعت في جعفر خصال كثيرة قلما تجتمع في غيره، فقد اتفقت مصادر ترجمته عليها، فإضافة إلىٰ شبابه وحيوته وفتوته وشجاعته كان حليماً بارّاً متواضعاً، وكان يخشى الله خشية عظيمة، حتىٰ إنه قبل إسلامه كانت نفسه وكأنها قد جبلت علىٰ كره المحرمات.

يقول ابن عباس في رواية له: قال رسول الله ﷺ لجعفر بن أبي طالب: إن الله تعالىٰ أوحى إليّ أنه شكرك علىٰ أربع خصال، كنتَ عليهن مقيماً قبل أن يبعثني الله، فما هن؟

قال له جعفر: بأبي أنت وأمّي، لولا أن الله أنبأك بهن ما أنبأتك عن نفسي كراهية التزكية: إني كرهت عبادة الأوثان؛ لأني رأيتها لا تضرّ ولا تنفع. وكرهت الزنا... وكرهت شرب الخمر؛ لأني رأيتها منقصة للعقل، وكنت إلىٰ أن أزيد في عقلي أحبّ إليّ من أن انقصه. وكرهت الكذب؛ لأني رأيته دناءة(٧).

ما أعظمك يا جعفر في الجاهلية كما ما أعظمك في إسلامك!

كان جعفر جواداً كريماً سخياً سمحاً، فقد قال فيه رسول الله ﷺ: أسمح أمّتي جعفر.

ولطيب نفسه ومراعاته لضعفاء الناس ومساكينهم كان رسول الله يكنيه أبا المساكين.

فعن أبي هريرة قال: كان جعفر يحب المساكين ويجلس إليهم

ويحدثهم ويحدثونه[٨].

وعنه أيضاً: كان خير الناس للمساكين جعفر بن أبي طالب، وكان ينقلب بنا فيطعمنا ما كان في بيته، وإن كان ليخرج إلينا العكة فنشقها فنلعق ما فيها.

الهجرة:

إن من أعظم ما ناله المسلمون الأوائل هو وسام الهجرة، هذه التي منّ الله تعالىٰ بها عليهم، لتكون نقطة انطلاقة كبرىٰ وانفتاح على العالم الآخر بعيداً عن الحجاز وعبث الظالمين فيه، وأذاهم وتعذيبهم للصفوة المؤمنة. فالدعوة في بدايتها وقد حفت بالمخاطر، والمؤمنون بها قلة قليلة ضعيفة لا حول لها ولا قوة.. ترقبها عيون قريش هنا وهناك، تتربص بهم ليسوموهم سوء العذاب لا لذنب اقترفوه أو جريمة تلبسوا بها سوى أنهم ﴿**فتية آمنوا بربّهم وزدناهم هدًى**﴾[٩]. وهجروا دين آبائهم وكبرائهم...

تقول رواية أمّ سلمة:

لما ضاقت على النبي ﷺ مكّة، وأوذي أصحابه، وفتنوا، ورأوا ما يصيبهم من البلاء والفتنة في دينهم، وأن رسول الله ﷺ لا يستطيع دفع ذلك عنهم، وكان رسول الله ﷺ في منعة من قومه ومن عمّه، لا يصل إليه شيء مما يكره مما ينال أصحابه، فقال لهم رسول الله ﷺ: إن بأرض الحبشة ملكاً لا يظلم أحد عنده، فالحقوا ببلاده حتىٰ يجعل الله لكم فرجاً ومخرجاً مما أنتم فيه.

فخرجنا إليها أرسالاً حتىٰ اجتمعنا بها، فنزلنا بخير دار إلىٰ خير جار، أمنا علىٰ ديننا، ولم نخش ظلماً.

فلما رأت قريش أنا قد أصبنا داراً وأمناً، اجتمعوا علىٰ أن يبعثوا إليه فينا؛ ليخرجنا من بلاده، وليردنا عليهم. فبعثوا عمرو بن العاص وعبد الله بن أبي ربيعة، فجمعوا له هدايا ولبطارقته، فلم يَدَعُوا منهم رجلاً إلّا بعثوا له هدية علىٰ

حِدَة، وقالوا لهما: ادفعوا إلىٰ كل بطريق هديته قبل أن تكلموا فيهم، ثمّ ادفعوا إليه هداياه، وإن استطعتما أن يردهم عليكم قبل أن يكلمهم فافعلوا.

أقول: كانت تخشىٰ قريش أن ينطلق الحقّ من لسانهم ووقع الذي كانت تخشاه.

فقدما علينا، فلم يبق بطريق من بطارقته إلّا قدّموا إليه هديته، فكلموه، فقالوا له: إنّا قدمنا علىٰ هذا الملك في سفهاء من سفهائنا، فارقوا أقوامهم في دينهم، ولم يدخلوا في دينكم، فبعثَنا قومُهم ليردهم الملك عليهم، فإذا نحن كلمناه فأشيروا عليه بأن يفعل، فقالوا: نفعل، ثم قدّموا إلى النجاشي هداياه، فكان من أحبّ ما يهدى إليه من مكّة الأَدَم. فلما أدخلوا عليه هداياه، فقالوا له: أيها الملك إن فتية منا سفهاء، فارقوا دين قومهم، ولم يدخلوا في دينك، وجاؤوا بدين مبتدع لا نعرفه، وقد لَجأُوا إلىٰ بلادك، فبَعَثنا إليك فيهم عشائرهم، آباؤهم وأعمامهم وقومهم لتردهم عليهم، فهم أعلىٰ بهم[١٠] عيناً.

فقالت بطارقته: صدقوا أيها الملك، لو رددتهم عليهم وكانوا هم أعلىٰ بهم، فإنهم لم يدخلوا في دينك فيمنعهم أملك. فغضب، ثمّ قال: لا، لعمر الله، لا أردهم عليهم حتىٰ أدعوهم وأكلمهم وأنظر ما أمرهم، قوم لَجأُوا إلىٰ بلادي، واختاروا جواري علىٰ جوار غيري، فإن كانوا كما تقولون رددتهم عليهم، وإن كانوا علىٰ غير ذلك منعتهم، ولم أدخل بينهم وبينهم، ولم أنعمهم عيناً فأرسل إليهم النجاشي فجمعهم ـ ولم يكن شيء أبغض إلىٰ عمرو بن العاص وعبدالله بن أبي ربيعة من أن يسمع كلامهم ـ فلما جاءهم رسول النجاشي اجتمع القوم فقال: ماذا تقولون؟ فقالوا: ماذا نقول؟! نقول والله ما نعرف وما نحن عليه من أمر ديننا، وما جاء به نبينا صلى الله عليه وآله كائن من ذلك ما كان، فلما دخلوا عليه كان الذي يكلمه منهم جعفر بن أبي طالب، فقال له النجاشي:

ما هذا الدين الذي أنتم عليه؟ فارقتم دين قومكم، ولم تدخلوا في يهودية ولا

نصرانيه، فما هذا الدين؟

فراح جعفر رضوان الله عليه يبين له حيث قال:

.. أيها الملك كنّا قوماً على الشرك، نعبد الأوثان، ونأكل الميتة، ونسيء الجوار، ونستحلّ المحارم.. وغيرها، لا نحلّ شيئاً ولا نحرّمه، فبعث الله إلينا نبياً من أنفسنا نعرف وفاءَه وصدقَه وأمانتَه، فدعانا إلىٰ أن نعبد الله وحده لا شريك له، ونصلَ الرحم، ونُحسِنَ الجوار، ونصلّي لله تعالىٰ، ونصوم له، ولا نعبد غيره، فقال: هل معك شيء مما جاء به؟ وقد دعا أساقفته فأمرهم فنشروا المصاحف حوله، فقال له جعفر: نعم، فقال: هلمّ فاتلُ عليَّ ما جاء به. فقرأ عليه صدراً من ﴿كهيعص﴾ فبكىٰ والله النجاشي حتىٰ أخضل لحيته، وبكت أساقفته حتىٰ أخضلوا مصاحفهم. ثم قال: إن هذا الكلام ليخرج من المشكاة التي جاء بها موسى؛ انطلقوا راشدين، لا، والله لا أردهم عليهم، ولا أنعمكم عيناً، فخرجنا من عنده، وكان أتقى الرجلين فينا عبدالله بن أبي ربيعة، فقال عمرو بن العاص: والله لأئتينه غداً بما أستأصل به خضراءهم[11]. فلأخبرنه أنهم يزعمون أن إلهه الذي يعبد عيسىٰ بن مريم عبد.

فقال له عبدالله بن أبي ربيعة: لا تفعل.. فإنهم إن كانوا خالفونا فإن لهم رحماً ولهم حقاً، فقال: والله لأفعلن، فلما كان الغد دخل عليه، فقال: أيها الملك، إنهم يقولون في عيسىٰ قولاً عظيماً، فأرسل إليهم فسلهم عنه، فبعث إليهم، ولم ينزل بنا مثلها. فقال بعضنا لبعض: ماذا تقولون له في عيسىٰ إن هو سألكم عنه؟

فقالوا: نقول والله الذي قاله الله تعالىٰ، والذي أمرنا به نبيناﷺ أن نقول فيه :فدخلوا عليه وعنده بطارقته، فقال: ما تقولون في عيسىٰ بن مريم؟

وهنا أيضاً كان جعفر رضوان الله عليه هو المحاور فقال له: نقول: هو عبدُ الله ورسوله وكلمتهُ وروحهُ ألقاها إلىٰ مريم العذراء البتول، فدلى النجاشي يده إلى الأرض، فأخذ عوداً بين أصبعيه، فقال: ما عدا عيسىٰ بن مريم ما قلت هذا

العويد[١٢]، فتناخرت بطارقته، فقال: وإن تناخرتم والله، اِذهبوا، فأنتم شيوم في أرضي ـ والشيوم: الآمنون ـ مَن سبّكم غرم، ثمّ من سبّكم غرم، ثمّ مَنْ سبّكم غرم، فأنا ما أحب أن لي دَبْراً وأني آذيتُ رجلاً منكم ـ والدبر بلسانهم: الذهب ـ فوالله ما أخذ الله تعالىٰ مني الرشوة حين ردّ علي ملكي فآخذ الرشوة منه، ولا أطاع الناس فيّ فأطيع الناس فيه، ردوا عليهما هداياهما، فلا حاجة إلي بها، وأخرجا من بلادي. فرجعا مقبوحَيْن مردوداً عليهما ما جاءا به. فأقمنا مع خير جار، وفي خير دار.

فلم ينشب أن خرج عليه رجل من الحبشة ينازعه في ملكه، فوالله ما علمنا حزناً حزنّا قط كان أشدّ منه فرقاً من أن يظهر ذلك الملك عليه، فيأتي ملك لا يعرف من حقنا ما كان يعرفه، فجعلنا ندعو الله ونستنصره للنجاشي، فخرج إليه سائراً... فهزم الله ذلك الملك وقتله، وظهر النجاشي عليه... فوالله ما علمنا فرحنا بشيء قط فرحنا بظهور النجاشي، ثمّ أقمنا عنده حتىٰ خرج من خرج منا راجعاً إلىٰ مكة، وأقام من أقام...[١٣]

وفي رواية ثانية ذكرها أبو نعيم في حليته عن بردة عن أبيه:

قال: لما أمرنا رسول الله ﷺ أن ننطلق مع جعفر بن أبي طالب إلىٰ أرض النجاشي، فبلغ ذلك قريشاً، فبعثوا عمرو بن العاص، وعمارة بن الوليد، فجمعوا للنجاشي هدية، فقدمنا وقدما على النجاشي، فأتياه بالهدية فقبلها، وسجدا له. ثم قال له عمرو بن العاص: إنّ أناساً من أرضنا رغبوا عن ديننا وهم في أرضك.

قال لهم النجاشي: في أرضي؟ قالوا: نعم، فبعث إلينا.

فقال لنا جعفر: لا يتكلم منكم أحد، أنا خطيبكم اليوم، فانتهينا إلى النجاشي وهو جالس في مجلس وعمرو بن العاص عن يمينه، وعمارة عن يساره، والقسيسون والرهبان جلوس سماطين سماطين، وقد قال لهم عمرو وعمارة: إنّهم لا يسجدون لك، فلما انتهينا بدرنا مَنْ عنده من القسيسين والرهبان:

اسجدوا للملك. فقال جعفر: لا نسجد إلّا لله عزّوجلّ.

قال له النجاشي: وما ذاك؟ قال: إنّ الله تعالىٰ بعث فينا رسولاً وهو الرسول الذي بشر به عيسىٰ عليه السلام.

قال: من بعدي اسمه أحمد. فأمرنا أن نعبد الله لا نشرك به شيئاً، ونقيم الصلاة ونؤتي الزكاة، وأمرنا بالمعروف ونهانا عن المنكر.

فأعجب النجاشي قوله. فلما رأىٰ ذلك عمرو بن العاص، قال: أصلح الله الملك إنهم يخالفونك في ابن مريم.

فقال النجاشي لجعفر: ما يقول صاحبكم في ابن مريم؟

قال: يقول فيه قول الله عزّوجلّ: هو روح الله وكلمته، أخرجه من البتول العذراء التي لم يقربها بشر، ولم يفترضها ولد.

فتناول النجاشي عوداً من الأرض فرفعه، فقال: يا معشر القسيسين والرهبان ما يزيد هؤلاء علىٰ ما تقولون في ابن مريم ما يزن هذه. ثمّ قال: مرحباً بكم وبمن جئتم من عنده.

وأنا أشهد أنه رسول الله، وأنه الذي بشر به عيسىٰ عليه السلام ولولا ما أنا فيه من الملك لأتيته حتىٰ أقبل نعله. امكثوا في أرضي ما شئتم. وأمر لنا بطعام وكسوة وقال: ردوا علىٰ هذين هديتهما(١٤).

وفي حلية الأولياء أيضاً كان جواب جعفر: أيها الملك كنا قوماً أهل جاهلية نعبد الأصنام، ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسيء الجوار، ويأكل القوي منا الضعيف. وكنّا علىٰ ذلك حتىٰ بعث الله تعالى إلينا رسولاً منّا نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه، فدعانا إلى الله تعالىٰ لنوحده ونعبده، ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان، وأمرنا بصدق الحديث، وأداء الأمانة، وصلة الرحم، وحسن الجوار، والكف عن المحارم والدماء، ونهانا عن الفحش، وقول الزور، وأكل مال اليتيم، وقذف المحصنة. وأمرنا أن نعبد الله

وحده لا نشرك به شيئاً. وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام. قال: ـ فعدد عليه أمور الإسلام ـ فصدقناه وآمنا به، واتبعناه علىٰ ما جاء به من الله عزّوجلّ، فعبدنا الله وحده، فلم نشرك به شيئاً، وحرمنا ما حرم علينا، وأحللنا ما أحل لنا. فعدا علينا قومنا فعذبونا وفتنونا عن ديننا؛ ليردونا إلىٰ عبادة الأوثان من عبادة الله عزّوجلّ، وأن نستحل ما كنّا نستحل من الخبائث، فلما قهرونا وظلمونا وضيقوا علينا وحالوا بيننا وبين ديننا، خرجنا إلىٰ بلادك، فاخترناك علىٰ مَنْ سواك، ورغبنا في جوارك، ورجونا أن لا نظلم عندك أيها الملك...

ولما أرسلت قريش مبعوثيها إلى الحبشة، يقول ابن هشام في سيرته[١٥]: فقال (ابو طالب) حين رأىٰ ذلك من رأيهم وما بعثوهما فيه، أبياتاً للنجاشي يحضّه علىٰ حسن جوارهم والدّفع عنهم:

ألا ليتَ شعري كيف في النأي جعفرٌ ... وعمرو وأعداء العدوّ الأقاربُ
وهل نالت أفعالُ النجاشي جعفراً ... وأصحابه أو عاق ذلك شاغب
تعلَّم، أبيت اللّعن، أنّك ماجدٌ ... كريمٌ فلا يشقىٰ لديك المجانب
تعلّم بأنّ اللهَ زادك بَسطةً ... وأسبابَ خيرٍ كلّها بك لازب
وأنّك فيضٌ ذو سِجال غزيرةٍ ... يَنال الأعادي نفعها والأقارِب

أما لماذا جعفر؟!

لقد كان جعفر ومعه زوجته أسماء الوحيد من بني هاشم ممّن قد خرج إلىٰ أرض الحبشة مهاجراً، والذي أعتقده أن جعفراً لم يكن من الذين اضطُهِدوا من قبل قريش، ولم يتعرض إلىٰ ما تعرض له بقية المسلمين لما يتمتع به من منعة عشيرته ومكانتها ـ وإن كان هناك غيره لم تستطع قريش من اضطهاده ـ إلّا أن لجعفر قدرات ذاتية اكتشفها رسول الله ﷺ فيه ستجعل له دوراً رسالياً مهماً في الحبشة. وإذا ما تعرض المهاجرون ـ الذين كان عددهم أكثر من ٨٠ مهاجراً ـ إلىٰ

مواقف خطيرة وفي الذب والدفاع عنهم وعن الدين الجديد. وهذا ما حدث بالفعل، فقد نقلنا تلك الروايات لنلقي الضوء كاملاً علىٰ دور هذا الرجل في إقناع النجاشي وبطارقته بمظلومية المهاجرين وليس هذا فقط بل في عرض الإسلام بشكل واضح وجلي، مبيناً خصائص النبي ﷺ ودوره في دعوة قومه إلىٰ هذا الدين ونبذ عبادة الأصنام.. وكل هذا يحتاج إلىٰ شجاعة وجرأة وقدرة على البيان والمحاورة، وهذه الصفات جمعت في جعفر بن أبي طالب رضوان الله تعالىٰ عليه، فجعلت رسول الله ﷺ يأذن له بالهجرة بل ويأذن له بالبقاء طيلة خمس عشرة سنة تقريباً فقد هاجر سنة خمس من مبعث النبي ﷺ وقدم إلى المدينة سنة سبع من الهجرة، فنال بذلك وسام الهجرتين.

لقد كان بحقّ رجل الإسلام الأول ورجل الحوار الأوّل في تلك البلاد، فمن محاوراته الجميلة التي أحرجت عمرو وصاحبه أمام النجاشي.. ما ذكره صاحب تفسير مجمع البيان:.. قال جعفر: يا أيها الملك سلهم أنحن عبيد لهم؟ فقال: لا، بل أحرار. قال: فسلهم ألهم علينا ديون يطالبوننا بها؟ قال: لا، ما لنا عليكم ديون. قال: فلكم في أعناقنا دماء تطالبوننا بها؟ قال عمرو: لا. قال: فما تريدون منّا؟ آذيتمونا فخرجنا من دياركم. ولم يكتف جعفر بهذا بل عقبه بذكر النبيّ وأحكام الإسلام.

أيها الملك بعث الله فينا نبيّاً أمرنا بخلع الأنداد، وترك الاستقسام بالأزلام، وأمرنا بالصلاة والزكاة والعدل والإحسان وإيتاء ذي القربىٰ، ونهانا عن الفحشاء والمنكر والبغي...[١٦]

فرسول الله ﷺ لم يأذن لهم بالهجرة للخلاص بأنفسهم وأهليهم فحسب، وإن كان هذا هدفاً سليماً طالما لم يستطع الدفاع عنهم من ظلم قريش وتعسّفها وهو بعد في أول أمره ولم يؤمر بالجهاد، إلّا أنه كان يريد منهم أيضاً أن يحملوا هذه الرسالة التي جاءت إلى الناس كافة، وأن يكونوا له دعاةً في غير مكّة وبلاد

الجزيرة العربية، وأن يزيحوا العوائق التي قد تستفيد منها قريش مستقبلاً.. أراد رسول الله ﷺ لجعفر وللمهاجرين أن يكونوا دعاة رسالة ورجال حضارة وبناة تأريخ ومستقبل زاهر بالإسلام ومبادئه. وأن يستوعبوا الزمن كلّه والمكان كلّه والناس كلّهم، وهذا ما حدث فعند عودة جعفر إلى المدينة كان معهم سبعون رجلاً منهم اثنان وستون من بلاد الحبشة وثمانية من أهل الشام فيهم بحيراء الراهب، فقرأ عليهم رسول الله ﷺ سورة يس إلىٰ آخرها فبكوا حين سمعوا القرآن وآمنوا وقالوا: ما أشبه هذا بما كان ينزل علىٰ عيسىٰ، فأنزل الله فيهم ﴿.. ● **وإذا سمعوا ما أنزل الله إلى الرسول ترىٰ أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحقّ يقولون ربّنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين..**﴾[١٧].

أمّا لماذا الحبشة؟!

لابدّ لمن يريد أن ينجو من الاضطهاد والعذاب أن يختار مكاناً آمناً يلوذ به وإلّا فسيكون كالمستجير من الرمضاء بالنار. لهذا فقد تمّ اختيار هذه البلاد وكما صرح بذلك رسول الله ﷺ حينما أمر المسلمين بالهجرة: لو خرجتم إلىٰ أرض الحبشة، فإن بها مَلكاً لا يُظلم عنده أحد، وهي أرض صدق، حتىٰ يجعل الله لكم فرجاً ممّا أنتم فيه[١٨].

إذن فهي بلاد صدق وفيها حاكم عادل فتجد الدعوة ويجد المهاجرون ساحة بلا موانع يستطيعون التحرّك عليها بحريّة وأمان. كما أنها أرض كانت متجراً لقريش، يقول الطبري:.. وكانت أرض الحبشة متجراً لقريش يتجرون فيها، يجدون فيها رفاغاً من الرزق، وأمناً ومتجراً حسناً[١٩].

وكانت ـ أيضاً بلاداً مفتوحةً علىٰ كثير من البلدان، فهي بالتالي تشكّل ساحة مناسبة لنشر الدعوة الجديدة وبثّها في تلك البلاد وفي غيرها، كما تشكّل ساحة ضغط علىٰ قريش وتجارتها..

وهذا ما حصل بالفعل، فقد وصل تأثير المهاجرين ـ بدءاً بالملك الذي أعلن موقفه من الإسلام ومن المهاجرين وحمايتهم بقوله: أنا أشهد أنه رسول الله... إلىٰ غير الملك من أشراف القوم وأبناء البلاد الآخرين.. وكما يذكر الطبري: ثمّ إنه فشا الإسلام فيها، ودخل فيه رجال من أشرافهم(٢٠).

شجاعته واستشهاده:

بعد عودته رضوان الله عليه إلى المدينة من الحبشة ـ كان رسول الله ﷺ بخيبر سنة ٧هـ ـ بعد أن قضىٰ فيها سنين عدداً مهاجراً، وكان بصحبته زوجته أسماء وأولاده الثلاثة محمد وعبدالله وعوف، تقول الرواية المنقولة عن الشعبي... قال: لما فتح النبي ﷺ خيبر قدم جعفر بن أبي طالب رضوان الله عليه من الحبشة، فالتزمه رسول الله ﷺ، وجعل يقبّل بين عينيه ويقول: «ما أدري بأيهما أنا أشدّ فرحاً بقدوم جعفر أم بفتح خيبر؟!»(٢١) وقد آخىٰ بينه وبين معاذ بن جبل.

فأقام بالمدينة شهراً ثمّ جعله رسول الله ﷺ أحد الامراء الثلاثة علىٰ جيش غزوة مؤتة بناحية الكرك بالبلقاء. فتوجه إلىٰ هناك حيث خاض معركة لم يخض المسلمون معركة مثلها، كما وصفت، وكان أعداء المسلمين من المشركين الروم قد ادّرعوا بالعتاد والأعداء ما يملأ السهل والجبل، وما لا طاقة للعرب ولا للمسلمين به، وكان جعفر أحد قواد الجيش الثلاثة الذين عيّنهم رسول الله ﷺ فعن عروة بن الزبير: أنه بعث ذلك البعث (بعث رسول الله ﷺ الجيش إلىٰ مؤتة) في جمادى.. لسنة ثمان من الهجرة، واستعمل عليهم زيد بن حارثة، وقال: إن أُصيب زيد فجعفر بن أبي طالب على الناس، فإن أصيب جعفر فعبد الله بن رواحة على الناس(٢٢).

وقد ذكر الدكتور الجميلي صاحب كتاب صحابة النبي ﷺ وصفاً للمعركة ولاستشهاد جعفر: واشتبكت الأسنة، واشتجر الوغىٰ، وعلا رهج الحرب،

وأدرك الروم أنهم إزاء فارس لا ضريب له، لا تثلم له ضربة، ولا يغل له سنان، ولا تنبو له ضريبة، فاعتوره الأعداء من كل صوب وجهة، وهو يرميهم ذات اليمين وذات الشمال، يستأصل شأفتهم، ويبيد خضراءهم، وهو ممسك بالراية بيده اليمنىٰ، فقطعوها له، فالتقطها بيده اليسرىٰ، ولا يزال صامداً متماسكاً، إلّا أن الروم ظلوا يتدافعون إليه، واحتوشوه حتىٰ قطعت يده اليسرىٰ، فاحتضن الراية بعضديهَ شهامةً حتى الموت، واندفعت الأمور لنهاياتها الحتمية، فقتل جعفر رضي الله عنه وسقط شهيداً مضرجاً بدمائه مثخناً بجراحه، مزملاً في ثيابه، مدثراً ببطولة لا مثل لها.

يقول عبد الله بن عمر: كنت مع جعفر في غزوة مؤتة، فالتمسناه، فوجدناه وبه بضع وتسعون ما بين طعنة ورمية.

وقال الزركلي في أعلامه: وحضر موقعة مؤتة بالبلقاء من أرض الشام، فنزل عن فرسه وقاتل ثمّ حمل الراية وتقدم صفوف المسلمين، فطعنت يمناه فحمل الراية باليسرىٰ فطعنت أيضاً، فاحتضن الراية إلىٰ صدره، وصبر حتىٰ وقع شهيداً وفي جسمه نحو تسعين طعنة ورمية، فقيل: إن الله عوضه عن يديه جناحين في الجنة، وقال حسان:

فلا يبعدن الله قتلىٰ تتابعوا بمؤتة منهم ذو الجناحين جعفر

وقد روىٰ عكرمة عن ابن عباس: أن النبي ﷺ قال: دخلت الجنة فرأيت جعفر الطيار مع الملائكة وجناحاه مضرجان بالدم.

يقول بن عوف ـ وهو ممن حضر معركة مؤتة ـ عن شجاعة جعفر: لكأني أنظر إلىٰ جعفر بن أبي طالب يوم مؤتة حين اقتحم عن فرس له شقراء فعقرها، ثمّ تقدم فقاتل حتّىٰ قتل، قال بن اسحق: فهو أول من عقر في الإسلام وهو يرتجز:

يا حبذا الجنة واقترابُها طيبةٌ وباردٌ شرابُها
والرومُ رومٌ قد دنا عذابُها عليّ إن لاقيتها ضرابُها

وفيما قاله رسول الله ﷺ عن إيمان جعفر الثابت وشجاعته: .. ولما أخذ جعفر ابن أبي طالب الراية، جاءه الشيطان فمناه، وكره إليه الموت، فقال: الآن حين استحكم الإيمان في قلوب المؤمنين تمنيني الدنيا، ثمّ مضىٰ قدماً حتىٰ استشهد. فصلىٰ عليه رسول الله ﷺ ودعا له، ثمّ قال رسول الله ﷺ: «استغفروا لأخيكم جعفر فقد استشهد ودخل الجنة، وهو يطير فيها بجناحين من ياقوت حيث شاء من الجنة».

ولما ورد خبر استشهاد زيد وجعفر وعبدالله بكىٰ أصحاب رسول الله ﷺ وهم حوله فقال: ما يبكيكم؟ فقالوا: ما لنا لا نبكي وقد ذهب خيارنا وأشرافنا وأهل الفضل منا. فقال: لا تبكوا، فإنما مثل أمتي كمثل حديقة قام عليها صاحبها فأصلح رواكيها وهيّأ مساكبها، وحلق سعفها، فأطعمت عاماً فوجاً، ثمّ عاماً فوجاً، ثمّ عاماً فوجاً، فلعل آخرها طعماً أن يكون أجودها قنواناً، وأطولها شمراخاً. والذي بعثني بالحقّ ليجدن ابن مريم في أمتي خلفاً من حواريه(٢٣).

ولما استشهد جعفر وأصحابه أتىٰ رسول الله ﷺ بيت جعفر، تقول أسماء بنت عميس زوجة جعفر: لما اصيب جعفر وأصحابه أتاني رسول الله ﷺ، ولقد هيأت أربعين مناً(٢٤) من أدم، وعجنت عجيني، وأخذت بنيّ فغسلت وجوههم ودهنتهم، فدخل عليّ رسول الله ﷺ فقال: يا أسماء، أين بنو جعفر؟ فجئت بهم إليه، فضمهم إليه وشمهم، ثمّ ذرفت عيناه فبكىٰ، فقلت: أي رسول الله لعله بلغك عن جعفر شيء، فقال: نعم، قتل اليوم. فقالت: فقمت أصيح، واجتمع إليّ النساء، قالت: فجعل رسول الله ﷺ يقول: يا أسماء: لا تقولي هُجراً، ولا تضربي صدراً.

قالت: فخرج رسول الله ﷺ حتىٰ دخل على ابنته فاطمة، وهي تقول: واعماه، فقال رسول الله ﷺ: علىٰ مثل جعفر فلتبك الباكية، ثمّ قال رسول الله ﷺ: اصنعوا لآل جعفر طعاماً، فقد شغلوا عن أنفسهم اليوم... ثمّ صعد المنبر فحمد الله وأثنىٰ عليه، ثمّ قال: أيها الناس، إن جعفر بن أبي طالب مرّ مع جبريل وميكائيل

له جناحان، عوضه الله من يديه فسلّم عليّ.. وأخبرني أنه لقي المشركين يوم كذا وكذا.... فقال: لقيت المشركين فأصبت في جسدي من مقاديمي ثلاث وسبعين طعنة وضربة، ثم أخذت اللواء بيدي اليمنىٰ فقطعت، ثمّ أخذته بيدي اليسرىٰ فقطعت فعوضني الله من يدي جناحين أطير بهما مع جبريل وميكائيل، أنزل من الجنة حيث شئت... فلذلك سمّي الطيار في الجنة.

عمره

وقع الخلاف في عمره الشريف حينما استشهد في معركة مؤتة، فقد ذهب الواقدي وغيره إلىٰ أن قتله كان سنة ثمان من الهجرة.. وعمّر جعفر ثلاثاً و ثلاثين سنة، وقيل: قتل وهو ابن خمس وعشرين سنة.

في حين ذهب بعض إلىٰ أن عمره رضوان الله عليه وقت استشهاده كان ثلاثاً أو أربعاً وثلاثين سنة، وقد نسب هذا إلىٰ أحد أحفاد جعفر وهو علي بن عبد الله ابن جعفر بن إبراهيم بن محمد بن علي بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب حيث قال: قتل جعفر وهو ابن ثلاث أو أربع وثلاثين سنة.

هذه هي خلاصة بعض الأقوال في عمره، وكلها مردودة، فقد رفض أبو الفرج الأصفهاني صاحب مقاتل الطالبيين هذا حيث قال: وهذا عندي شبيه بالوهم؛ لأنه قتل في سنة ثمان من الهجرة، وبين ذلك الوقت وبين مبعث رسول الله صلى الله عليه وآله إحدىٰ وعشرون سنة، وهو أسن من أخيه أمير المؤمنين علي عليه السلام بعشر سنين، كان لعلي حين أسلم سنون مختلفة في عددها، فالمكثر يقول: كانت خمس عشرة، والمقلل يقول: سبع سنين.

وكان إسلامه في السنة التي بعث فيها رسول الله صلى الله عليه وآله لا خلاف في ذلك. وعلىٰ أي الروايات قيس أمره علم أنه كان عند مقتله قد تجاوز هذا المقدار من السنين.

وذكر أبو الفرج في الهامش بأن ابن عبد البر جزم بأن سنّه كانت إحدىٰ

وأربعين سنة[٢٥].

وهذا القول الأخير مبني على كون عمر جعفر حين إسلامه كان عشرين سنة.

وما ورد في الرواية أعلاه من كون عمره ٣٣، ٣٤ فهو خطأ؛ لأن الأخذ بها يجعل عمر جعفر حين إسلامه ١٢ سنة أو ١٣ سنة، وبالتالي فهو يساوي عمر الإمام علي عليه السلام أو يقاربه إن لم يكن أصغر سناً من الإمام إذا ما أخذنا برواية المكثرين من كون عمر الإمام كان ١٥ سنة وقت إسلامه، وهذا يخالف كل المصادر التأريخية التي أجمعت على كون جعفر أكبر سناً من الإمام علي عليه السلام بعشر سنين.

فعمر جعفر وقت استشهاده قد لا يمكن القطع به بل يمكننا أن نقول: إنه بعد تجاوزه الأربعين سنة بقليل، أما تحديده بـ ٤١، أو ٤٢ على وجه الجزم أمر قد لا يخلو من مجازفة، وهو ترجيح لرواية السن على أخرى بلا مرجح قوي. وأما كون عمره خمساً وعشرين سنة فهو أمر لا يستحق الوقوف عنده.

صلاة جعفر

وممّا علّمه رسول الله صلى الله عليه وآله صلاة خاصّة تسمى بصلاة الحبوة والتسبيح.

فقد روى أبو حمزة الثمالي عن أبي جعفر عليه السلام قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله لجعفر بن أبي طالب: يا جعفر ألا أمنحك، ألا أُعطيك، ألا أحبوك[٢٦]، ألا أُعلّمك صلاة إذا أنت صلّيتها لو كنت فررت من الزّحف وكان عليك مثل رمل عالج[٢٧] وزبد البحر ذنوباً غفرت لك؟ قال: بلى يا رسول الله، قال: تصلّي أربع ركعات إذا شئت إن شئت كلّ ليلة، وإن شئت كلّ يوم، وإن شئت فمن جمعة إلى جمعة، وإن شئت فمن شهر إلى شهر، وإن شئت فمن سنة إلى سنة، تفتتح الصلاة ثمّ تكبّر خمس عشرة مرّة، تقول: الله أكبر وسبحان الله والحمد لله ولا إله إلّا الله، ثمّ تقرأ الفاتحة وسورة، وتركع فتقولهنّ في ركوعك عشر مرّات، ثمّ ترفع رأسك من الركوع فتقولهنّ عشر

مرّات، وتخرُّ ساجداً وتقولهنَّ عشر مرّات في سجودك، ثمّ ترفع رأسك من السجود فتقولهنّ عشر مرّات، ثمّ تخرّ ساجداً وتقولهنّ عشر مرّات، ثمّ ترفع رأسك من السجود فتقولهنّ عشر مرّات، ثمّ تنهض فتقولهنّ خمس عشرة مرّة، ثمّ تقرأ فاتحة الكتاب وسورة، ثمّ تركع فتقولهنّ عشر مرّات، ثمّ ترفع رأسك من الركوع فتقولهنّ عشر مرّات، ثمّ تخرُّ ساجداً فتقولهنّ عشر مرّات، ثمّ ترفع رأسك من السجود فتقولهنّ عشر مرّات، ثمّ تسجد فتقولهنّ عشر مرّات، ثمّ ترفع رأسك من السجود فتقولهنّ عشر مرّات، ثمّ تتشهّد وتسلّم؛ ثمّ تقوم وتصلّي ركعتين أخراوين تصنع فيهما مثل ذلك ثمّ تسلّم. قال أبو جعفر عليه السلام: فذلك خمس وسبعون مرّة في كلّ ركعة ثلاثمائة تسبيحة تكون ثلاثمائة مرّة في الأربع ركعات ألف ومائتا تسبيحة يضاعفها الله عزّوجلّ ويكتب لك بها اثنتي عشرة ألف حسنة، الحسنة منها مثل جبل أُحد وأعظم»[٢٨]

وعن أجر من صلّاها، سئل الإمام أبوعبدالله عليه السلام «عمّن صلّىٰ صلاة جعفر، هل يكتب له من الأجر مثل ما قال رسول الله صلى الله عليه وآله لجعفر؟ قال: إي والله»[٢٩].

قالوا فيه

إذا ما نظرنا في الذي ورد في جعفر من أقوال وروايات.. يمكننا أن نتصور من خلال ذلك شخصيته ومكانته وما يملكه من قدرات، فمن أقوال الرسول صلى الله عليه وآله فيه:

«خير الناس حمزة، وجعفر وعلي»[٣٠].

«رأيت جعفراً ملكاً يطير في الجنة مع الملائكة بجناحين»[٣١].

وقال صلى الله عليه وآله مخاطباً جعفراً: «أنت أشبهت خَلقي وخُلقي»[٣٢].

«نحن بنو عبد المطلب سادات أهل الجنة: رسول الله، وحمزة سيد الشهداء، وجعفر ذو الجناحين، وعلي، وفاطمة، والحسن، والحسين»[٣٣].

وفي رواية أخرىٰ قال فيها رسول الله صلى الله عليه وآله:

«نحن سبعة «بنو عبد المطلب» سادات أهل الجنة، أنا، وعلي أخي، وعمّي حمزة، وجعفر، والحسن والحسين، والمهدي»[٣٤].

أمّا ما قاله صاحب حلية الأولياء أبو نعيم الأصفهاني في مقدمة ترجمة جعفر: ومنهم الخطيب المقدام، السخي المطعام، خطيب العارفين، ومضيف المساكين، ومهاجر الهجرتين، ومصلي القبلتين، البطل الشجاع، الجواد الشعشاع، جعفر بن أبي طالب عليه السلام، فارق الخلق ورامق الحق،...

وأما ما قاله فيه صاحب سير أعلام النبلاء..

السيد الشهيد، الكبير الشأن، علم المجاهدين، أبو عبدالله، ابن عمّ رسول الله.

ومن شعر حسان بن ثابت في بني هاشم ومنهم جعفر[٣٥]:

رأيت خيارَ المؤمنينَ تواَدُوا ... شَعُوبَ وقد خُلِّفتُ فيمن يؤخَّرُ
فلا يُبعدَنَّ اللهُ قتلىٰ تتابعوا ... جَميعاً ونيرانُ الحروبِ تَسَعَّرُ
غداة غدا بالمؤمنينَ يقودُهُمْ ... إلى الموتِ ميمونُ النّقِيبَة أزهرُ
وكنا نرىٰ في جعفرٍ مِنْ محمد ... وَقَاراً وأمْراً حَازِماً حِيْن يَأمُرُ
وما زال للإسلامِ مِنْ آلِ هاشمٍ ... دَعائمُ عِزٍّ لا تَزالُ ومَفْخرُ
بَهالِيْلُ منْهُمْ جَعْفَر وابنُ أُمّهِ ... عليٌّ ومِنْهُمْ أحمدُ المتخيَّرُ
وحمزةُ والعباسُ منهمْ وَمنْهُمُ ... عَقِيلٌ وماءُ العُودِ مِنْ حيثُ يُعَصرُ
بهمْ تُفْرَجُ اللأواءُ في كلِّ مأزقٍ ... عَماس[٣٦] إذا ما ضَاقَ بالأمْر مَصْدَرُ
وهمْ أولياءُ اللهِ نزّل حكمهُ ... عليهم وفيهِمْ والكتابُ المطَّهرُ

وفي رثاء جعفر قال كعب بن مالك:

هدت العيون ودمع عينك يهمل ... سَحَّاً كما وَكَفَ الضباب الْمُخْضلُ[٣٧]
وكأنّما بين الجوانح والحشا ... مما تأَوَّبَني شِهابٌ مُدْخَلُ[٣٨]/(٧)

وَجْـداً عـلى النَّـفَر الذيـن تَـتَابَعُوا يـوْماً بـمُؤتَة أُسْـندوا لمْ يُـنْقَلوا
صـلى الإلهُ عـليهم مـن فِـتيةٍ وسقىٰ عـظامهمُ الغـمامُ المُسْـبِل[٣٩]
صـبروا بـمؤتة للإله نـفوسهُمْ عـند الحِـمَامِ حـفيظةً أن يَـنْكُلُوا[٤٠]
إذ يـهتدون بـجعفرٍ ولوائِـهِ قُـدَّامَ أَوَّلِـهِمْ ونِـعْمَ الأَوَّل[٤١]
حـتىٰ تـفرَّقت الصـفوف وجـعفرٌ حيثُ الْتَقىٰ وَعْثُ الصُّفُوفِ مُجَدَّل[٤٢]
فَـتَغَيَّرَ القـمرُ المـنيرُ لفـقده والشمسُ قد كَسَفَتْ وكادتْ تَأْفُل[٤٣]
[قـومٌ بـهم نـصرَ الإلهُ عـبادَه وعـليهُم نـزل الكـتاب المُـنْزَل[٤٤]]
وبـهديهمْ رَضـي الإلهُ لِـخَلْقِهِ وحَـدّهم نُـصِرَ النـبيّ المُـرْسَل[٤٥]
بـيضُ الوجـوه تُـرَىٰ بُـطُون أَكُـفِّهِمْ تَنْدَىٰ إذا اعتذرَ الزمـانُ المُـمْحِل[٤٦]

ومن أبيات لحسان وهو يرثي جعفر بن أبي طالب:

لقد جـزعتُ وقـلتُ حـين نُـعيتَ لي مَن للـجلاد لدى العُـقاب وظـلِّها[٤٧]
بـعد ابـن فـاطمة المـبارك جـعفر خـير البـرية كـلِّها وأجـلّها

❊❊❊

فسلام عليك يا جعفر في الخالدين

الهوامش:

(١) سورة البقرة: ٢٥٣.
(٢) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد ٣: ٤٠٧، وطبقات ابن سعد ١: ٧٧.
(٣) مختصر تاريخ دمشق لابن منظور ٦: ٦٦.
(٤) الحَيْرُ: بالفتح شبه الحظيرة أو الحمىٰ. انظر اللسان: حَيَر.

(٥) مختصر تاريخ دمشق ٦: ٦٦.

(٦) المصدر نفسه.

(٧) المصدر نفسه ٦: ٦٧.

(٨) رواه البخاري ٧: ٧٧، حلية الأولياء ١: ١١٧.

(٩) سورة الكهف: ١٣.

(١٠) .. وأعلىٰ بهم عيناً أي أبصر بهم، وأعلم بحالهم. اللسان: علا.

(١١) خضراءهم: شجرتهم التي منها تفرعوا.

(١٢) العويد: أي مقدار هذا العود الصغير.

(١٣) مختصر تاريخ دمشق ٦: ٦٣، ٦٤، ٦٥.

(١٤) حلية الأولياء: ١١٤ ـ ١١٥.

(١٥) السيرة النبوية لإبن هشام ١: ٣٣٢.

(١٦) تفسير مجمع البيان ٣: ٣٦١.

(١٧) سورة المائدة: ٨٢ ـ ٨٤، انظر مجمع البيان ٣: ٣٦١.

(١٨) سيرة ابن هشام ١٢: ٣٢١.

(١٩) تاريخ الطبري ١: ٥٤٦، رفاغاً: سعة.

(٢٠) تاريخ الطبري ١: ٥٤٦.

(٢١) انظر مقاتل الطالبيين: ٣٠، عن ابن سعد ٤: ٢٣ وابن أبـي الحـديد ٣: ٤٠٧، والبـدايـة والنـهاية ٤: ٢٥٦، والاستيعاب ١: ٨١.

(٢٢) أنظر مقاتل الطالبيين: ٣٠، عن ابن سعد ٢: ٩٣، و٤: ٢٢، وابن هشام ٤: ١٥، والبدايـة والنـهاية ١: ٢٤١، والسيرة الحلبية ٣: ٧٧.

(٢٣) مقاتل الطالبيين: ٣١ ـ ٣٢.

(٢٤) في الأصل: «منياً» تحريف. والمنا: الكيل أو الوزن الذي يوزن به، وهو أفصح من المنّ، لغة تميم. اللسان: منن، مني.

(٢٥) مقاتل الطالبيين، انظر شرح المواهب ٢: ٢٧١.

(٢٦) أمنحك وأعطيك وأحبوك متقاربة المعاني، والمنحة: العطية. والحباء: العطاء ومـنه الحـبوة بـاعتبار اعـطاء النبي صلى الله عليه وآله لجعفر عليه السلام.

(٢٧) الرمل العالج أي المتراكم، وعوالج الرمل هو ما تراكم منه.

(٢٨) من لا يحضره الفقيه ١: ٣٧٠.

(٢٩) المصدر نفسه ١: ٣٧١.

(٣٠) شرح ابن أبي الحديد ٣: ٤٠٧.

(٣١) طبقات ابن سعد ٤: ٢٦، وأسد الغابة ١: ٢٨٧، الإصابة ١: ٢٤٩.

(٣٢) ابن أبي الحديد ٣: ٤٠٧، الإصابة ١: ٢٤٨.

(٣٣) مختصر تاريخ دمشق ٦: ٦٨.

(٣٤) مختصر تاريخ دمشق ٦: ٦٨.

(٣٥) الديوان: ٢٣٥، باختلاف في الرواية، وانظر مقاتل الطالبين: ٣٢ـ ٣٣.

(٣٦) أمر عَماس: شديد مظلم، لا يُدرىٰ من أين يؤتىٰ له. اللسان: عمس.

(٣٧) الشعر في ابن هشام ٤: ٢٧ ابن أبي الحديد ٣: ٤٠٤ والبداية والنهاية ٤: ٢٦١.

همل الدمع: سال، وسحا: صبا، ووكف: قطر، ويروىٰ «كما وكف الطباب» وهو جمع طبابة، وهي سير بين خرزتين في المزادة فإن كان غير محكم كف منه الماء، والمخضل: السائل الندىٰ. وفي ابن أبي الحديد ٣: ٤٠٤ «وكف الرباب» وفي سيرة ابن هشام بعد هذا البيت:

في ليلة وردت عـلى هـمومها ... طـوراً أحـن وتـارة أتـململ

واعـتادني حـزن فـبَتَ كأنـني ... ببنات نـعش والسـماك مـوكل

(٣٨) المدخل: النافذ: إلى الداخل.

(٣٩) المسبل: الممطر.

(٤٠) الحمام: الموت. وينكلوا: يرجعوا هائبين لعدوهم.

(٤١) بعد هذا البيت في سيرة ابن هشام:

فمضوا أمام المسـلمين كأنّـهم ... فـنق عـليهن الحـديد المـرفل

(٤٢) في سيرة ابن هشام «حتىٰ تفرجت» والوعث الرمل الذي تغيب فيه الأرجل، ومجدل: مطروح على الجدالة، وهي الأرض. وفي ابن أبي الحديد «... التقىٰ جمع الغواة».

(٤٣) تأفّل: تغيب، وفي القرآن ﴿فلما أفلت قال إني لا أحب الآفلين﴾ وفي سيرة ابن هشام بعد هذا البيت:

قـرم عـلا بـنيانه مـن هـاشم ... فرعاً أشـم وسـؤدداً مـا يـنقل

(٤٤) الزيادة من النسخة الخطية وفي سيرة ابن هشام «عصم الإله» وفيها بعد البيت:

فـضلوا المـعاشر عشـرة وتكـرماً ... وتـنهدت أحـلامهم مـن يـجهل

لا يـطلقون إلى السـفاه حُـباهم ... ويـرىٰ خـطيبهم بـحق يـفصل

(٤٥) ويروى «بجدهم» قال أبو ذر: «من رواه بالحاء المهملة فمعناه بشجاعتهم وإقدامهم؛ ومن رواه بالجيم المكسورة فهو معلوم».

(٤٦) الممحل: الشديد القحط وفي أ، ب: «قوم بهم نظر الإله لخلفه».

(٤٧) العقاب: اسم لراية الرسول.